المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 16-01-2008 العـــدد : 2665
الصفحـات : 8 المسلسل : 48

غير واضحة تصوير

التاريخ يسجل تحديات الشابة قبل أن تتحول إلى جزء من الساطات

المصـــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 16-01-2008
الصفحـات : 8
العـــدد : 2665
المسلسل : 48

مكة المكرمة: خالد الرحيلي

في وقت بدأت فيه أعمال نزع الملكيات واستقبال أصحاب العقارات التي ستنزع لصالح توسعة الحرم المكي، يتشوق محمد سعيد طيب لمسقط رأسه وموئل طفولته وبواكير شبابه في الشامية شمال المسجد الحرام، ويقول لـ"الوطن" في نبرة تقطر حنينا: آخر كثيرا لبيتنا، القائم منذ مئات السنين، والذي لم يتبق في عمره سوى ثلاثة أشهر، تفصل بينه وبين دخوله وكامل المنطقة في ساحات الحرم ضمن التوسعة الجديدة التي أمر بها خادم الحرمين الشريفين.

الطيب ما هو إلا عينة من مئات من أبناء الأسر المكية سكان الشامية، إحدى أعرق حارات مكة التاريخية والتي اكتسبت اسمها من كونها تقع في جهة الشام شمالا، الذين يحنون ويتشوقون للمكان، فيما اشتهر الحي بكونه مسكنا لكبار الموظفين، ولعل من أشهرهم في تاريخه أول نائب لمجلس الشورى في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله صالح شطا والد النائب السابق لرئيس مجلس الشورى في عهد الحديث بكري شطا. كما كان يسكن المنطقة أول أمين للعاصمة المقدسة عباس قطان، ومن مشاهير الحي أيضا وزير البترول السعودي الأسبق أحمد زكي يماني، وأشهر عمدة في التاريخ المكي عبد الله بصنوي.

والشامية جزء مميز من المنطقة الشمالية للمسجد الحرام والتي تضم بين جنباتها جبل هندي والفلق والشامية والشبيكة وسوق المدعى وحارة الباب التي نشأت تاريخيا بمعزل عن التخطيط والتنظيم، لكنها لم تعدم أن تكون حاضرة في الذاكرة الثقافية والعلمية للمدينة، فصحيفة "صوت الحجاز" أول صحيفة تتأسس في العهد السعودي، كان مقرها الشامية، مما جعل المنطقة ملتقى لكبار الأدباء والكتاب والمثقفين.

غير أن تزايد السكان وتنامي النهضة العمرانية، قلص من الساحات المفتوحة في الحي، فيما ساهمت الشوارع الجديدة في أن تجعل المكان يبدو مكتظا، مما دفع معظم سكان الشامية إلى الرحيل للمخططات الجديدة في مكة.

يقول إبراهيم هندي: الشامية صارت جزءا حيويا من المنطقة المركزية، وبالتالي صرنا نجد صعوبة في التنقل بين منازلنا ومقار أعمالنا وإيصال أبنائنا إلى مدارسهم في الصباح وأخذهم في الظهيرة، فضلا عن المواسم كالحج والعمرة.

ويضيف: صار السكان يجدون حرجا في استقبال ضيوفهم. ولا يستطيعون إقامة مناسباتهم في منازلهم لضيقها من جهة ولصعوبة إيجاد مواقف للسيارات بالحي مما حدا بأغلب السكان إلى اتخاذ قرار الانتقال إلى المخططات الجديدة، وذلك قبل أكثر من 25 سنة، إلا أننا نتشوق لتلك الذكريات التي قضيناها في هذا الحي وإلى مراحل عمرنا الأولى فيه.

ويلفت هندي الانتباه إلى أن المنطقة الشمالية ظلت عبارة عن عقارات مستثمرة بشكل عشوائي دون تخطيط، بينما ما زالت أغلب العقارات محافظة على تصميمها التاريخي ذي الطابع العمراني الحجازي من رواشين خشبية تحيط بشبابيك المنازل متعددة الطوابق والتي بنيت من الآجر والأخشاب والتي كانت مواد ذات جودة عالية في ذلك الوقت إلا أن بعضها رمم الآن بشكل تقليدي.

ويوضح إبراهيم هندي أن عنصر المنافسة بالمنطقة يدفع الأغلبية إلى استثمار العقار بوضعه الراهن لتحقيق شروط لجنة إسكان الحجاج، والتي تشدد على أن يكون العقار صالحا للسكن.

وفي المحصلة، تدخل منطقة الشامية الذاكرة كتاريخ قبل أن تتحول إلى جزء من ساحات الحرم المكي، وكان ما يجري في السنوات الأخيرة، لا يخرج عن بعض العقارات التي طالتها يد التطوير والتحديث وبعضها أزيل وبني على أنقاضه أبراج سكنية وفندقية حديثة، بينما ظل كثير منها قائما على وضعه السابق والكثير منها تهدم بفعل عوامل الإهمال من الورثة، وظل أفرا بعد عين.

أما الواجهة المطلة مباشرة على المسجد الحرام فقد استثمرت وبنيت الفنادق والأبراج السكنية عليها ولكنها لم ترتق لأهمية المنطقة كما يرى كثير من المراقبين.

إضافة إلى أن أسواقها بقيت محافظة على النمط القديم، حيث الدكاكين والمحلات الصغيرة المتناثرة بين الأزقة والشوارع، ولم ترق لمستوى الأسواق والمجمعات التجارية الحديثة كالموجودة في أسواق شركة مكة للإنشاء والتعمير والتي أضافت بعدا اقتصاديا للمنطقة المركزية.

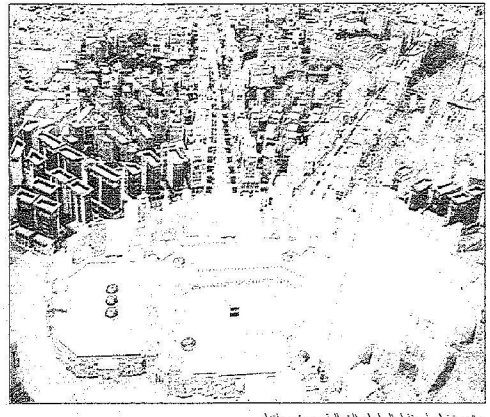

مشهد تخيلي لمستقبل الساحات الشمالية مع مشروعاتها

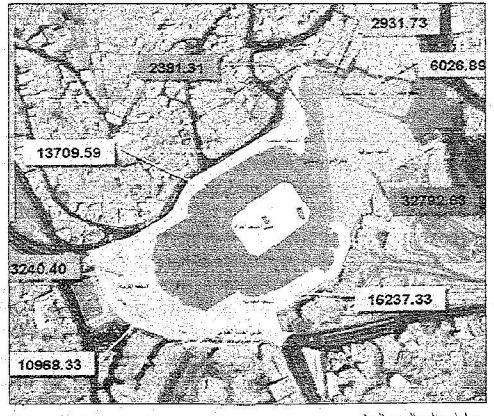

مساحات عناصر المسجد الحرام